

قصة انمييار آل مبارك



الفصل الثالث

كواليس أحداث الثورة من
داخل القصر الجمهوري

oboi.kan.com

اجتماع بين مبارك ووزراء الوزارات السيادية قبل ٢٥ يناير

بعد تردي الأوضاع في تونس، وانتحار الشاب التونسي محمد البوعزيزي بإشعال النار في جسده بعد إهانته على يد ضابطة الشرطة التونسية فادية حمدي بعد صفقة على وجهه، فكانت لهذه الحادثة عظيم الأثر في نفوس التونسيين، ومع النيران التي أحرقت هذا الشاب اشتعلت نيران الثورة التونسية التي أسقطت الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وكانت مصدراً للإلهام شعوب عربية أخرى ثارت ضد حكماها، ويعد انتصار ثورة تونس، شاهدنا العديد من حالات الانتحار في العديد من الدول العربية، فبعد ١٨ يوماً من إشعال البوعزيزي النار في جسده، أضرم على الأقل ٥٠ مواطناً عربياً النار في جسدهم لأسباب اجتماعية متشابهة تقليداً لاحتجاج البوعزيزي، ففي مصر يعد انتحار عبده عبد المنعم حمادة أول حالة انتحار فقام بإشعال النار في جسده أمام مجلس الشعب احتجاجاً على غلتي مطعمه، تلاه ١٣ حالة انتحار خلال أيام قليلة نتيجة أوضاع اجتماعية واقتصادية ألمت بهم، وخرجت تصريحات رسمية تفيد بأن المتحجرين مرضى عقليين ولا يجب استخدام تلك الحوادث لأهداف سياسية، والحقيقة أن الحكومة دائماً كانت تتكبر وتتعالى ولا تعترف بأن سبب انتحار هؤلاء هو تقصير الحكومة في عملها وانتشار الفساد والظلم والاستبداد، فهي ليست أهدافاً سياسية كما يقولون ولكنها أهدافاً آدمية، ولم تحاول الحكومة تصحيح الأوضاع في الدولة بدلاً من اتهام هؤلاء المتحجرين بأنهم مرضى نفسيين، ولم يتعلموا من درس تونس، وظنوا أنهم أكبر وأكثر سيطرة وسطوة من النظام الحاكم في تونس.

ولكن بعد إحساس الشعب المصري بالتفاوت وأنه ليس من المستبعد إزالة هذا النظام بكامله بعد إزالة نظام مستبد في تونس لا يختلف كثيراً عن الوضع في مصر، بل إن الوضع الاقتصادي في تونس أفضل كثيراً من مصر، أي أن مصر أولى بالقيام بثورة ضد النظام من قيام التونسيين بثورتهم، وعلى إثر ذلك تعالت الأصوات على بعض المواقع وعلى لسان بعض المعارضين من ضرورة التغيير، فإما قيام النظام الحاكم بتغيير سياساته وأهدافه وخطته جذرياً، وإما تغيير هذا النظام نفسه، وكان الحل الثاني هو الأولى بالاتباع نظراً لتعننت مبارك وأعوانه لسياساتهم وأهدافهم وعدم إنصاتهم لأي رأي يخالف رأيهم وأفكارهم.

وبعد قيام صفحة «كلنا خالد سعيد» على موقع الفيس بوك، وحركة «شباب ٦ إبريل»، وحركة «كفاية» بالتنسيق فيما بينهم على حشد أكبر عدد من المظاهرات يوم ٢٥ يناير، عقد الرئيس حسني مبارك اجتماعاً يوم ٢٠ يناير مع اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة، واللواء حبيب العادلي وزير الداخلية، والدكتور طارق كامل وزير الاتصالات، والسيد أنس الفقي وزير الإعلام، والمشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع. وانتهى هذا الاجتماع إلى أن المظاهرات ستكون سلمية وستنتهي بعد ساعات من تجمعها كما جرت العادة في المظاهرات السابقة.

قام رئيس الوزراء أحمد نظيف في السابع والعشرين من يناير باقتراح على رئيس الجمهورية أن يقوم ببعض التنازلات كحل مجلسي الشعب والشورى ورفع الأجور وتخفيض أسعار السلع الغذائية، ولكن حدث اتصال تليفوني بين مبارك والعادلي، وقال العادلي لمبارك أنه لا يجوز إعطاء أي تنازلات فلم يفت غير يومين اثنين، ويجب انتظار حتى يوم الجمعة ونحن قادرون على إنهاء تلك الأزمة. وكان هذا التباطؤ هو السبب الأساسي في ازدياد اشتعال الأزمة، وتعتت المتظاهرين نظراً لشعورهم بالتجاهل المستفز من جانب القائمون على هذا البلد، فلو تحلى مبارك ومن حوله بقليل من التواضع وقدموا بعض التنازلات - وهذا التنازل من خير وثروة مصر وليس من ثرواتهم الشخصية التي نهبوها من أرض مصر دون وجه حق - لكانت الثورة قد أجهضت، ولكن هيات أن يقدموا أي مصلحة للشعب المصري، فاعتادوا على قهر وذل الشعب المصري، وحمد الله أنهم لم يقدموا أي تنازلات حتى لا يتم إجهاض الثورة.

جمال مبارك يأمر برفع الأسود والنمور على المتظاهرين:

وبعد أحداث جمعة الغضب وانسحاب الأمن من الشوارع كان كل من في مصر يفكر بطريقته، فالثوار يفكرون بكيفية الضغط على مبارك لجبره على ترك الحكم، وكل واحد في السلطة يفكر في كيفية إثبات ولائه، وذلك عن طريق منع اهتزاز كراسيهم ومناصبهم حتى لو اضطروهم ذلك لقتل المئات وربما الألوف من خيرة شباب مصر، وعلى إثر هذه المباراة في خلق وابتكار الخطط الجهنمية - ووفقاً لما ذكرته صحيفة الفجر نقلاً عن صحيفة العربي الناصري - فقد طلب جمال مبارك نجل الرئيس مبارك من حبيب العادلي وزير الداخلية فتح أقفاص الحيوانات المفترسة بحدائق الحيوانات وإطلاقها في

الشوارع في المدن المصرية، هذا المطلب الإجرامي جاء في سياق زيادة حالة الفزع والرعب في قلوب المصريين خاصة بعد انسحاب الشرطة من الشوارع وإطلاق المساجين والبلطجية على الشعب المصري، وقال أحد ضباط الحراسة الشخصية للعادلي أنه كان حاضراً للقاء ضمه هو وجمال مبارك، وأن جمال مبارك طلب منه التصرف بسرعة والهجوم على حدائق الحيوان وفتح أقفاص الحيوانات المفترسة بالتزامن مع حملة تهريب إعلامية سيتم إخطار أنس الفقي بها لتنفيذها على شاشات التلفزيون، من خلال الإلحاح على الناس لتخفيفهم من الحيوانات المفترسة التي تجرى في الشوارع لإجبار المتظاهرين على الانسحاب من ميدان التحرير، الطريف أن العادلي اقتنع بخطة جمال مبارك الجهنمية وأشاد بذكائه وقدراته على ابتكار وسائل تخويف مبتكرة. وعندما حاول العادلي نقل تلك الأفكار لضباطه لتنفيذها لم يجد حماساً كافياً منهم، بل وأنهم أبدوا مخاوف من تعرض الحيوانات المفترسة لعناصر الشرطة التي تقوم بإطلاق النار في الشوارع وتخويف الناس، كما أن ذلك سيعرض الحيوانات نفسها للقتل لأن الناس ستضطر لضربها بالنار وقتلها، وأخبروا العادلي أنها خطة غبية وستسبب فضيحة لهم ولن تحقق أي نتائج. وحينما علمت مؤسسات سيادية بالخطة الإجرامية جرى تشديد الحراسة على حدائق الحيوان.

المشير لمبارك: هل تريد من الجيش ضرب المواطنين؟

عندما طلب الرئيس مبارك من المشير طنطاوي مساء جمعة الغضب ٢٨ يناير نزول القوات المسلحة بعد أن استنفذ جهاز الشرطة قواه واستعصى عليه مواجهة مظاهرات الغضب المتزايدة فإن القوات العسكرية التي نزلت إلى الشارع كان معظمها دبابات ومصفحات مدرعة وهي في التعبير العسكري - قوات ميدان - وليست قوات اشتباك، وقد لفت ذلك نظر مبارك وسأل المشير طنطاوي سؤالاً مباشراً عن هذه القوات، وكان رد طنطاوي: وهل تريد من الجيش أن يضرب المواطنين؟! ولم يكتف المشير طنطاوي بالتلميح وإنما عمد إلى التصريح من خلال البيان الذي أصدره المتحدث الرسمي بلسان - وزارة الدفاع - يوم أول فبراير مع ملاحظة أن المشير طنطاوي هو وزير الدفاع. وقد كان هذا البيان هو الوحيد الذي صدر عن وزارة الدفاع بينما صدرت البيانات التالية اعتباراً من يوم ١٠ فبراير باسم المجلس الأعلى.

تعيين اللواء عمر سليمان نائباً للرئيس؛

وبعد اليوم التالي لجمعة الغضب، بات من الأكيد عدم قدرة الشرطة وفشلها في مواجهة الثوار، وازدادت حدة مطالبة مبارك بالرحيل، ففكر الرئيس مبارك ومن حوله في إيجاد مخرج لتلك الورطة التي لم تكن في الحسبان، فقرر أن يقدم بعض التنازلات من بينها أن يعين نائباً له، بعد أن ظل طيلة الثلاثون عاماً رافضاً تعيين نائباً له، بل وتعرض لإهانة الشعب المصري كافة حين تم سؤاله في أكثر من حوار عن مدى إمكانية تعيين نائباً للرئيس فقال: لم أجد في الشعب المصري شخص يصلح لهذا المنصب، ولكنه كان يخشى من أن يعين نائباً له ويستطيع هذا النائب أن يلفت الأنظار له ويكون شعبية، وهذا ما لا يرضاه مبارك فكان يحب دائماً أن يكون هو اللاعب الوحيد في الساحة، ولا أحد يظهر غيره. على أي حال فبعد الإصرار من المتظاهرين على رحيل مبارك، رأي مبارك أن يعين نائباً له، وفكر في من حوله فرأى أن أفضل شخص هو المشير محمد حسين طنطاوي، وذلك لسببين حتى يؤمن له الوجود الآمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى يستطيع أن يخمد تلك الثورة الشعبية، ولكن المشير رفض بشدة وأصر على ذلك، وحاول مراراً بعد ذلك ولكنه أصر على رفضه، ففكر في صديقه الثاني، ألا وهو اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة، وفي يوم ٢٩ يناير عينه نائباً له، وبعد أن طلب من حكومة الدكتور أحمد نظيف تقديم استقالتها، كلف الفرق أحمد شفيق بتشكيل الوزارة الجديدة، وحاول مرة أخرى تعيين المشير نائباً لرئيس الوزراء، ولكنه رفض مره أخرى، وأصر على كونه وزيراً فقط، وفي يوم حلف اليمين للوزارة الجديدة؛ نوادي على المشير طنطاوي باعتباره وزيراً للدفاع ونائباً لرئيس الوزراء، ولكن ومع اعتراض المشير على ذلك، قام زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية بتغيير القرار في اليوم التالي.

لقاء الإخوان بعمر سليمان :

أصدر الطاغية المخلوع مبارك تكليفاً لعمر سلمان بأن يتفاوض مع القوى الوطنية يوم ٣١ يناير، وبالفعل بدأ سليمان سريعاً وكان أول لقاء سري مع الإخوان شارك في التحضير له أفراد من المخابرات والجماعة الإسلامية! وهنا أكشف جزءاً آخر لأول مرة، عن هذا اللقاء غير المسبوق، ففي يوم ١ فبراير ذهب د/ سعد الكتاتني ود/ محمد

مرسي للقاء عمر سليمان في اجتماع مغلق ضم ثلاثتهم!

وكان الحديث عندها عن سحب الإخوان لشبابهم من التحرير وتهدئة الأمور في حين يكون المقابل هو حصول الإخوان على الشرعية الفعلية عن طريق ترخيص جمعية والإفراج عن خيرت الشاطر.

عاد الكتاتني ومرسي إلى مكتب الإرشاد بنتيجة المفاوضات، وهنا يجب أن نذكر أن وقوع موقعة الجمل لم تنقذ الثورة فقط من الاستمرار بل أنقذت الإخوان من أن يعقدوا أسوأ اتفاق في تاريخهم.

اجتمع مكتب الإرشاد وخشي الكثير منهم من استكمال الاتفاق، وأقسموا على المصحف ألا يخرج هذا الكلام مطلقاً للنور ولا يعرف به أحد من مجلس الشورى العام حتى لا يثوروا عليهم.

وظل عمر سليمان يجتمع بعد موقعة الجمل مع القوى الوطنية، وعندما سئل في أحد المؤتمرات الصحافية عن سبب عدم حضور الإخوان المفاوضات، قال واثقاً: «إنهم يفكرون وسيلحقون بنا».

ولم يكن يعرف أحد في بر مصر أن كلام عمر سليمان لم يكن كلاماً في الهواء بل كان الرجل يعلم أنهم سيحضرون مرة أخرى. وبالفعل اجتمع عمر سليمان مع الكتاتني ومرسي أمام الكاميرات في اجتماع موسع يوم ٦ فبراير ضم بعض القوى الوطنية، من دون الرجوع مرة أخرى لمجلس الشورى العام. وهنا سجل عبدالمنعم أبو الفتوح فيديو وبثه على اليوتيوب يندد بهذا اللقاء ويصف قيادة الجماعة بأنها تعيش في دور المضطهد الذي لم يعلم أن هناك ثورة قامت وأن الدنيا تغيرت.

واجتمع مجلس الشورى العام بتاريخ ١٠ فبراير، وهنا حدث ما كان غير متوقع على الإطلاق، فقد ذل لسان الدكتور محمد مرسي عندما طلب أعضاء مجلس الشورى معرفة ما حدث من دون الرجوع إليهم في لقاء ٦ فبراير، فقال مرسي إننا لم نتطرق لما كنا توصلنا إليه في اللقاء الأول، فانتفض الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح وقال: هو كان فيه لقاء أول يا 'بديع'؟ أنت بتعملوا إيه في تاريخ الجماعة دي؟! حرام عليكموا، أنتم لازم تتحولوا للتحقيق. وغادر الاجتماع غاضباً وانصرف.

الطريف في الأمر والعهددة على الراوي، أن أبو الفتوح وهو في قمة انفعاله قال أحد أعضاء مجلس الشورى لزميله، كيف يقول أبو الفتوح للمرشد يا 'بديع'؟! من دون أن يقول له يا فضيلة المرشد أو حتى الدكتور بديع! (جريدة القدس العربي - ١ فبراير ٢٠١٢).

وفي حوار للدكتور / محمد حبيب المرشد العام للإخوان المسلمين السابق لجريدة اليوم السابع، نشر بتاريخ ١٦ / ٤ / ٢٠١٢ عن تلك الواقعة وعمل صفقات مع عمر سليمان للانسحاب من الميدان نظير خروج خيرت الشاطر، تم سؤاله:

س: كنت مازلت عضواً بمجلس شورى الإخوان عند صدور قرار الجماعة بعدم الدفع بعضو لمنصب الرئاسة في اجتماع بتاريخ ١٠ فبراير، ماذا حدث في هذا الاجتماع؟

حبيب: أنا رفضت حضور هذا الاجتماع وكان من المفترض أن يعقد اجتماع بيني والدكتور بديع، ولم أكن مشاركاً فيه، لكن الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح حكى لي ما حدث، وهو أن عدداً من الأعضاء اعترضوا على لقاء الدكتور محمد مرسى والدكتور سعد الكتاتني مع عمر سليمان بهدف الحوار مع القوى السياسية وكنت رافضاً لهذه المقابلة لأنني أعلم أن سليمان كان يريد شق صف القوى المتواجدة في الميدان مما يؤثر على وحدة القوى.

س: هل تم استشارة مجلس شورى الجماعة بشأن هذا اللقاء؟

حبيب: كان هناك أمر آخر، وهو حدوث لقاء بين قيادات الجماعة منفردين مع عمر سليمان قبل هذا اللقاء دون الرجوع لمجلس شورى الجماعة ما أثار غضب أعضاء الشورى، وكان ذلك قبل ٢ فبراير الذي شهد موقعة الجمل.

س: وما فحوى هذا اللقاء؟

حبيب: كان محاولة لصرف الإخوان عن الميدان مقابل الإفراج عن بعض القيادات من الجماعة مثل خيرت الشاطر، لكن الشباب رفضوا.. وهذا ما بلغني.

س: الجدول الذي صاحب اللقاءين «الخفي والمعلن» بين الإخوان وعمر سليمان كانت الجماعة ترد عليه باستمرار مشاركتهم في الثورة يوم موقعة الجمل؟

هناك أمران أساسيان، أولاً: مشاركتهم كان أمراً عظيماً في حماية الثورة وإلا لكانت تكرر أحداث شارع محمد محمود، وثانياً: استجابة الجماعة لإصرار الشباب على عدم مغادرة الميدان وهذا أيضاً أمر مهم ويحسب لها.

س: ولكن البعض يرى أن استجابة قيادات الإخوان لرغبة الشباب جاء نتيجة ضغط اللحظة وفقدان السيطرة عليهم؟

حبيب: هذا طبعاً أمر وارد لأنه لو كان هناك إصرار على الانسحاب كان سيأخذ مداه، حتى ولو انسحب جزء بغض النظر عما إذا كان هذا الإصرار صغيراً أم كبيراً، خاصة أن بداية خروج الشباب إلى الميدان مع بداية الثورة كان بتوجيهات وتعليمات من قيادة الجماعة وبالتالي فهم أصحاب القرار.

ذهاب مبارك لمركز عمليات القوات المسلحة:

وفي يوم الأحد ٣٠ يناير، ذهب الرئيس مبارك إلى مركز عمليات القوات المسلحة حتى يرى خطة توزيع القوات المسلحة بكافة أنحاء الجمهورية، ولم يعلق أو يناقش تلك الخطة، وعلى ما يعتقد البعض أن الهدف الأساسي من هذا التصرف هو التقاط صور لمبارك داخل مركز عمليات القوات المسلحة، وذلك لإيصال رسالة للشوار في شوارع مصر وللمعارضين ولكل من يشكك في خروج القوات المسلحة من تحت سيطرته، والإيحاء بأنه مازال مسيطراً على القوات المسلحة، وأنها الذراع الذي يمكنه البطش بها متى دعت الحاجة لذلك.

وبعد نشر تلك الصور في الصحف في اليوم التالي وإيصال تلك الرسالة للشعب المصري، وفي رد فعل للقوات المسلحة على رسالة مبارك، أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة البيان الأول للقوات المسلحة (لم يكن يحمل أي رقم) ويعد هذا البيان استيضاحاً لما رآه الشعب المصري في صحف اليوم السابق والذي جاء فيه:

« إلى شعب مصر العظيم... إن قواتكم المسلحة إدراكاً منها بمشروعية مطالب الشعب وحرصاً منها على القيام بمسئوليتها في حماية الوطن والمواطنين، كما عاهدتموها دائماً، تؤكد التالي: أولاً: إن حرية التعبير بالطرق السلمية مكفولة للجميع.

ثانياً: عدم الإقدام على أي عمل من شأنه الإخلال بأمن وسلامة الوطن وتخريب المصالح العامة والخاصة.

ثالثاً: إن إقدام فئة من الخارجين على القانون بترهيب وترويع المواطنين الأمنيين أمر غير مقبول، ولن تسمح القوات المسلحة به أو بالإخلال بأمن وسلامة الوطن.

رابعاً: حافظوا على مقدرات وممتلكات شعبكم العظيم، وقاوموا أعمال تخريبها، سواء كانت عامة أو خاصة.

خامساً: إن القوات المسلحة على وعي ودراية بالمطالب المشروعة للمواطنين الشرفاء.

سادساً: إن وجود القوات المسلحة في الشارع المصري من أجلكم، وحرصاً على أمنكم وسلامتكم. وقواتكم المسلحة لم ولن تلجأ إلى استخدام القوة ضد هذا الشعب العظيم الذي لم يدخل على دعمها في جميع مراحل تاريخه المجيد. إننا نؤكد أن قواتكم المسلحة هي الدرع الواقي والحصن الأمين لهذا الشعب العظيم وحمایته من الأخطار المحيطة به، وأن تراب هذا البلد ممزوج بدماء المصريين على مر التاريخ.. فحافظوا عليه.

حفظ الله مصر وشعبها من كل مكروه وسوء.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

المشير قائلاً للرئاسة: إيه التهريج اللي بيحصل ده؟

وعند حدوث موقعة الجمل ورود أنباء حول هجوم بعض البلطجية على ميدان التحرير، وتصوير الحدث وإذاعته على كافة القنوات الفضائية، وحسب شهادة الأستاذ صلاح منتصر فقد قال له أحد أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة: إن هذا اليوم كان الأصعب والأحرج لدرجة أن المشير محمد حسين طنطاوي استبد به الغضب وأجري اتصالاً مع رئاسة الجمهورية وصرخ في المسئول الذي تحدث إليه قائلاً: إيه التهريج اللي بيحصل ده؟ هو أنا مش مسئول معاكم؟! لو انتم لكم يد في الموضوع ده يتتهي فوراً.

مبارك تنازل وحل مجلس الشعب وحل الهيئة العليا للحزب الوطني:

بعد موقعة الجمل، تيقن مبارك أنه لا محالة من الخضوع لطلبات الشوار، وكانت

أولى طلباتهم هي العيش والعدالة والحرية والعدالة الاجتماعية، وتطورت بعد ذلك لتتال من مجلس الشعب وتطالب بحل مجلسي الشعب والشورى، وتطور بعد موقعة الجمل إلى رحيل مبارك، وكان في وقت سابق قبل جمعة الغضب اقترح الدكتور أحمد درويش وزير التنمية الإدارية على رئيس الوزراء تقديم بعض التنازلات منها حل مجلسي الشعب والشورى، ولكن مبارك والعادي رفضوا أي تنازلات لقول العادي أنه قادر على إنهاء تلك الاحتجاجات، وكان ذلك قبل جمعة الغضب، أما بعد موقعة الجمل لم يصبح أمام مبارك إلا أن يقدم بعض التنازلات، وكان منها حل مجلسي الشعب والشورى، وكان محمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب من مؤيدو حل مجلس الشعب لعله يكون سبباً للخروج من الأزمة، وبالفعل أبلغ سرور سامي مهران أمين مجلس الشعب بتجهيز قرار لحل مجلس الشعب، واتصل سامي مهران بفرج الدري أمين مجلس الشورى بهذا القرار وسأله فرج الدري إذا كان القرار يمس مجلس الشورى فأجاب مهران أن القرار يتعلق بمجلس الشعب فقط، ولكن للأسف لم يصدر القرار وذلك لقوة إقناع صفوت الشريف وأحمد عز فاستطاعوا التدخل بقوة لتغيير مسار هذا القرار، وبالفعل لم يصدر قرار حل مجلس الشعب، وتم حل المجلسين بقرار من المجلس الأعلى للقوات المسلحة في البيان الخامس له بعد رحيل مبارك. وهذا يدل على أن نظام مبارك لم يكن يريد إصلاحاً حقيقياً داخل الدولة، وحتى على فرض إذا أراد مبارك أن يصلح ويحسن بعض الأوضاع للمواطنين، فهناك من كان يعارض بشده تلك الإصلاحات، وكان هذا نتيجة فشل مبارك في اختيار أعوانه الذين اختارهم من أفسد الفاسدين، فكان كل هم هؤلاء الأشخاص هو تطبيق السياسات التي تحقق خلود مصالحهم الشخصية وليس مصالح الدولة ولا مواطنيها، وكان هذه الدولة ملك لهم ولأولادهم من بعدهم.

تعيين حسام بدرأوي خلفاً للشريف وجمال:

بعد أن فشل مبارك ومن حوله من محاولة إظهار عملية التجميل الخادعة والتي لا تسمن ولا تغني من جوع، تيقن مبارك من فشل من حوله والذين هم قيادات الحزب الوطني في هيئته العليا، ففي الخامس من فبراير أقال مبارك الهيئة العليا للحزب الوطني وعلى رأسهم صفوت الشريف وجمال مبارك وأحمد عز، وكان لزاماً عليه أن يعين شخصاً

لديه فكر مختلف من ناحية ومن ناحية أخرى لديه قبول شعبي، فلم يجد أفضل من الدكتور حسام بدر اوي والذي كان يعمل أستاذا بقسم النساء والتوليد بكلية الطب جامعة القاهرة، وعضواً في لجنة السياسات بالحزب الوطني، وكان لديه فكر إصلاحية ومعارض لسياسات الحزب، وفي الوقت التي كانت أغلب المعارضة تعد معارضة صورية لإظهار ديمقراطية الدولة، ولم يكن يجرؤ أحد على معارضة الحزب الوطني وجهاً لوجه أو في مقابلاتهم الشخصية، ولكن كان بدر اوي يعد معارضاً حقيقياً ويمثل الاتجاه الإصلاحية داخل الحزب. وعلى ذلك عينه مبارك أميناً عاماً للحزب وأميناً للسياسات خلفاً لصفوت الشريف وجمال مبارك، حيث كانت الهيئة العليا للحزب الوطني هي أحد الأسباب الرئيسية لثورة يناير لما شهدته مصر من فساد وتزوير لانتخابات مجلس الشعب، وبهذه التغييرات يتم قطع الشك تماماً في مقدرة جمال مبارك على الترشح لرئاسة الجمهورية.

بدر اوي لمبارك: الشعب سيقتحم القصر

في البداية شاهد مبارك بدر اوي في حديث تليفزيوني قبل يومين من تعيينه وأعجب بحديثه، وبعدها طلب مبارك مقابلة بدر اوي في قصر الرئاسة، وعندما رآه مبارك قال له: كنت أتمنى أن تكون وزيراً ولكن الظروف لم تسمح بذلك، وفي وجود عزمي وجمال مبارك والشريف أبلغ مبارك بدر اوي باستقالة هؤلاء من الحزب، وطلب مبارك من بدر اوي أن يقبل توليه أميناً عاماً للحزب وأميناً للجنة السياسات، وأعطى له كل الصلاحيات في إدارة الحزب، وله الحق في مقابلة مبارك حينما يريد، ووقتها استشعر مبارك أن المقصود من تعيينه ليس مصلحة الحزب بل مصلحة مصر كلها والتي من وجهة نظرهم أن مصلحة مصر تكمن في وجودهم بالسلطة وليس الرحيل، وعلى بدر اوي أن يعمل على هذا، ولكن تناسى مبارك أن هذا الرجل لن يوازي مبارك ولا من حوله.

بعد عرض المنصب على بدر اوي فكل من حوله نصحوه بالرفض وقالوا له: إن الحكومة تقوم باستغلاله، إلا أن زوجته وأولاده قالوا له: ربما يمكنك أن تساعد الناس بمنصبك الجديد.

ومنذ أن بدأت ثورة الخامس والعشرين من يناير، وأحس بدرأوي بخطورة الموقف فاقترح في اجتماعاته بالحزب أنه يجب أن يقوم الرئيس بإقالة الحكومة وعمل تغييرات جذرية في السياسات الداخلية للدولة، ولكن قيل له بأن تلك الاعتصامات هي مجرد زويعة في فنجان، وستنتهي خلال يومين على الأكثر، وفوجئ بأن الحكومة وكذلك الرئيس يقدمون تنازلات أقل كثيراً مما يجب، وهذا عمل لا يتمتع بأي ذكاء سياسي.

ومنذ أن بدأ تعيينه كأمين عام للحزب الوطني، طلب من الرئيس أن يقبل جميع قيادات الحزب، وأن يترك له الحرية لكي يتصل بجميع القوى السياسية كما يشاء دون قيود، كما قال له أنه ضد قانون الطوارئ، وضد المعتقلات، وقال له «وأنا أقول لك ذلك من البداية، لأنني لا أقبل بهذا المنصب كي أغير موقفي السياسي إذا كنتم تظنون ذلك».

مقابلة بدرأوي وعمر سليمان

عند العاشرة صباح الأربعاء التاسع من فبراير كان الدكتور حسام بدرأوي، دخل القصر الرئاسي قاصداً مقابلة مبارك ولكنه قابل سليمان أولاً، وكان موجوداً في مكتب جديد استحدث له خصيصاً بعد تعيينه نائباً، وقال له بدرأوي: إنني خلال الأيام الثلاثة الماضية التقيت بمختلف القوى السياسية، اعتباراً من الوفد والتجمع إلى الإخوان، وعقدت اجتماعات مع سبع مجموعات من الشباب، استمعت لكل مجموعة على حده، وأولادي موجودين بالميدان ولا أستطيع منعهم، وبأمانة شديدة فإن الموقف أخطر كثيراً من أي تصور ولا يعالجه كل ما نقوم به. قال عمر سليمان بهدوئه المعهود: ماذا تقترح يا دكتور؟ قال بدرأوي: أن يخرج الرئيس ويوجه اليوم خطاباً يعلن فيه أنه يلبي طلبات الشعب ووعد الذي أعلنه أول فبراير بتعديل الدستور، ويعلن نص الخطاب الذي أرسله لرئيس مجلس الشعب بالتعديلات المطلوبة، وبالتالي يكون جميع سلطاته لثائب رئيس الجمهورية بصورة واضحة لا تقبل الشك، معلناً أنه لم تعد لديه منذ الآن أي سلطة، ويتنقل لشرم الشيخ ليقيم هناك، بحيث تقطع عنه المعلومات ويعرف الجميع أنه لم يعد يحكم، وقال يا سيادة الثائب: لكي أكون أميناً فإنني لست متأكداً إذا كان ذلك سيساعد على عبور الأزمة.

فكر اللواء عمر سليمان قليلاً وقال: أنا أعرف مبارك جيداً ولكنني لا أستطيع أن أواجهه بما تقول. لا أستطيع أن أقول له تنازل لي عن سلطاتك. قال بدر اوي: إني أمين الحزب، فهل أستطيع بهذه الصفة أن أدعو لاجتماع مع الرئيس في حضور سيادتك وحضور المشير طنطاوي وأقول هذا الكلام؟ قال سليمان: نصيحتي أن تكلمه وحدك، فلست أعرف شخصاً آخر يمكن أن يقول هذا الكلام للرئيس مثلك، على أن تكونا وحدكما. نظر بدر اوي إلى التليفون الموجود على مكتب النائب ثم قال: أنا طلبت لقاء الرئيس، فهل أستاذك في إبلاغ مكتبه أنني في القصر وأريد لقائه؟ وبالفعل تم إبلاغ مكتب الرئيس، وسمح له بمقابلة مبارك.

وفي أثناء طريقه من مكتب النائب عمر سليمان إلى مكتب الرئيس، سمع بدر اوي وشاهد أبواباً تفتح ووجوهاً تخرج تحاول اللحاق به، فكان زكريا عزمي وأنس الفقي وجمال مبارك، وبينما كان أشرف بكير كبير الأمناء بمكتب الرئيس، يدفعه بصورة واضحة لمكتب مبارك وهو يقول له هامساً: دكتور حسام .. من فضلك لا تقف .. من فضلك ادخل على مكتب الرئيس على طول وقل له رأيك.

وقبل أن يصل لمكتب الرئيس نادى عليه جمال: إيه يا دكتور حسام فيه إيه؟ ولم يتركه أشرف بكير يرد على جمال .. بسرعة ارتفع صوته: سيادة الرئيس منتظرك فوراً يا دكتور، اتفضل يا دكتور. قال ذلك وأسرع يفتح باب مكتب الرئيس ليجد نفسه أمام الرئيس وهو يقول له: سيادة الرئيس بعد إذنك أريد التكلم مع سيادتك وحدك.

سأله مبارك، ما أخبار الحزب؟ قال له بدر اوي مندهشاً: حزب إيه يا سيادة الرئيس، الأهم الآن هو ميدان التحرير. هناك جموع قد نختلف في تقدير عددها، سواء كانوا مائة أو مائتي ألف أو أكثر، لكن المهم هو أن هؤلاء بعد غد الجمعة سيكونون هنا .. أمام القصر .. وعندما يصلون إلى القصر فمن الممكن أن يطلق أحدهم رصاصة أ، يلقي ناراً داخل القصر. قال مبارك بسرعة لو حدث هذا سيضرب الحرس الجمهوري في المليان. قال بدر اوي: إذا حدث ذلك تكون سيادتك أعطيتهم الشرعية للإجراء التالي. قال مبارك: يعني إيه هيموتوني؟ قال بدر اوي: المهم أنك تستطيع أن تحمي بلدك وشعبك وتعلن أن الوعد الذي وعدت به لتعديل الدستور قد نفذته، وأنت أرسلت فعلاً تكليف

تعديل المواد الدستورية، وأن تفوض نائب الرئيس وتذهب سيادتك فور ذلك لشرم الشيخ، إلى أن تنتهي التعديلات الدستورية وتطلب انتخابات رئاسية مبكرة عند انتهاء التعديلات.

سكت مبارك للحظات قليلاً ثم قال: أنا تسلمت البلد ولم يكن فيها شيء ومستعد أموت علشان بلدي. قال بدر اوي: وهناك كثيرون يا ريس مستعدون اليوم أن يموتوا علشان بلدهم، ورجائي أن تأخذ سيادتك القرار الصبح.

فكر مبارك قليلاً ثم قال: خلاص، أنا هاشوف القانونيين إذا كان في استعداد...
التعديلات الدستورية. قال بدر اوي: يا فندم القانونيون يستطيعون من عينيك معرفة ماذا تريد وينفذونه دون أن تتكلم، قال مبارك مندهشاً: إلى هذا الحد؟ قال بدر اوي: وأكثر يا سيادة الرئيس، ثم إن هذا الموضوع ليس قانونياً وإنما سياسياً. ثم قال له: سيادة الرئيس... ماترعلش مني، أنا بأكلم سيادتك وشاوشيسكو أمام عيني.

(شاوشيسكو هو رئيس رومانيا، وقام الشعب عليه بثورة وقبض الشوار عليه هو وزوجته، وتم محاكمتها سويماً أمام عدسات التليفزيون وتم إعدامهما في نفس الجلسة ٢٥ ديسمبر ١٩٨٩ وكانت ثمة علاقة شخصية بينه وبين مبارك بحكم منصبهما)

بعد قليل أعلن مبارك أنه موافق على سرعة عمل التعديلات الدستورية المطلوبة، وطلب من بدر اوي أن يذهب إلى النائب عمر سليمان ليتصل من مكتبه بالدكتور فتحي سرور، ويتفق معه على الإجراءات المطلوبة للتعديلات، ثم يعود للرئيس ليبلغه بالنتائج.

بعد خروجه من مكتب الرئيس توجه إلى مكتب النائب لعمل الاتصالات التي كلف بها، وما كاد ينقل للواء عمر سليمان ما حدث حتى جاءه من يطلبه للقاء الرئيس، ف شعر حينها أن السيناريو في طريقة للنور. وطلب الاتصال بفتحي سرور، الذي فوجئ ببدر اوي يقول له أن الرئيس سيرسل إليه اليوم الخطاب الخاص بالتعديلات الدستورية، لأنه سيعلن الليلة أنه سيسلم سلطاته للنائب ويستريح. قال له سرور منزعجاً: بتقول إيه؟ أنا مش عارف أفكر.. أعطني خمس دقائق واتصل بالمستشار سري صيام رئيس محكمة النقض، وبعد دقيقة اتصل به المستشار سري صيام وقال له أنه كان

في اجتماع مع اللجنة الدستورية، فقال له بدر اوي: عال، فالرئيس في عجلة من معرفة المواد التي سيتم تعديلها في الدستور. قال المستشار: إن أمامنا أسبوعين ونقول لك التعديلات، قلت له أسبوعين إيه يا سيادة المستشار، الرئيس لازم يصدر خطاب التكليف النهارده، ولازم يعلن الليلة هذه التعديلات. بعد خمس دقائق عاد المستشار صيام وأبلغ بدر اوي أنهم اتفقوا في اللجنة على تعديل ست مواد من الدستور.

طررد بدر اوي من القصر الجمهوري:

بعد مكالمة المستشار صيام جلس بدر اوي في مكتب النائب يكتب ورقة بالمواد التي أبلغه بها المستشار صيام ليسلمها للرئيس، ولكنه فوجئ بموظف من بروتوكول القصر، وقال له بصوت جاف: سيادتك خلاص قابلت الرئيس اتفضل امشي، قال بدر اوي: أمشي أروح فين؟ قال: حضرتك لازم تغادر دلوقتي لأن مهمتك انتهت، قال بدر اوي: يا أستاذ أنا أمين الحزب الوطني ومكلف من الرئيس ولازم أدخله دلوقتي، قال: يا دكتور لو سمحت حضرتك لازم تمشي دلوقتي حالاً.

شعر حينها بدر اوي بإهانة شديدة، فكتب ورقه للواء عمر سليمان: سيادة النائب تم طردي من القصر الجمهوري وسأغادر الآن. للعلم. وأعطى الورقة لمدير مكتب النائب وهو المقدم حسين الشريف، واصطحبه موظف البروتوكول وكأنه مقبوض عليه إلى داخل الأسانسير ثم إلى باب القصر حتى دخل سيارته، وهو بداخل السيارة فتح زجاج سيارته وقال له بصوت مرتفع: قل لرئيسك أياً كان أنني سأبلغ جميع وكالات الأنباء بأنني استقلت وتم طردي من القصر الجمهوري بسبب الشلة التي حول الرئيس والي هيودوه في داهية.

وفي السيارة وهو في حالة بالغة من الغضب، اتصل به جمال مبارك: إيه يا حسام إنت فين أنا بدور عليك؟ انفجر فيه .. بتقولي إنت فين .. أنا انطردت يا أستاذ .. إنتوا فاهمين إني هافضل أتقبل إهاناتكم على طول، أنا طالع دلوقتي في التليفزيون وسأقول إنني مقدم استقالتي وعشان إيه وليه. جمال: إزاي حد يطردك؟ الدكتور زكريا عاوز يكلمك. زكريا: إيه يا دكتور حسام ده إنت أمين عام الحزب الوطني ... دا إنت اللي تقول لنا اقعدها أو امشوا. بدر اوي: اسمع يا دكتور زكريا، قلة أدب لن أقبلها مرة أخرى، أنتم ناس

ما عندك كوش وطنية، وأنا آسف أقول لك هذا الكلام. زكريا: أنا آسف أنا هابوس راسك وهارفد الواد ده ... خد جمال كلمه. جمال: أرجوك يا دكتور علشان خاطرني ارجع علشان الرئيس طالبك.

فكر بدر اوي ألا يعود ولكنه أحس أن الرئيس لا ذنب له بهؤلاء الحمقى المحيطين به، فأمر سائقه بالعودة وبكل احترام قابله: اتفضل ... الرئيس عاوزك.

وكانت الساعة الثالثة عصراً يوم الأربعاء ٩ فبراير، دخلت مكتب الرئيس ووجدت معه النائب عمر سليمان وجمال مبارك، قال له الرئيس مبارك: خلاص يا دكتور حسام.. أنا هاطلع أعلن الخمس مواد التي سأطلب تعديلها وسأفوض نائب الرئيس النهارده. قلت له: أرجوك يا فندم يكون التفويض واضح وأن تركز على أن حضرتك لا تحكم، بعد إذذك ده من حبي وإخلاصي لك. الرئيس: خلاص.. أنا هاطلع بالليل وأنا والنائب بنوضب الإجراءات كلها.

وخرج بدر اوي ومعه جمال وزكريا واصطحباه لغرفة بالقصر. وقال له جمال: إيه يا دكتور في إيه؟ هيجت الدنيا كلها كده ليه وخليت الرئيس يعمل كده؟ قال له: أنا مش قادر أصدق أنكم مش شايفين اللي بيحصل في البلد. قال زكريا: فعلاً معاك حق.. وخرج. وبعد قليل دخل شخص ونادى على جمال مبارك.. وخرج جمال. وترك بدر اوي وحيداً في المكتب.. ومضى أكثر من نصف ساعة وهو وحيداً، فقرر الذهاب، وبالفعل فتح الباب وهم بالخروج ولكن جاءه أشرف بكير كبير أمناء مكتب الرئيس، وقال له: من فضلك يا دكتور ما تمشيش، إذا مشيت كل اللي بنته هايهدوه.. قال له بدر اوي: مرة طردوني ومره خرجوا وقفلوا الباب في وشي وعاوزني أقعد؟ وترك ورقة للنائب أبلغه فيها أنه في انتظار خطاب الرئيس، في الوقت الذي كان أشرف بكير يبدي أسفه من تصرفات جمال وزكريا.

شعر بدر اوي أن مهمته قد كللت بالنجاح رغم الإهانة التي واجهها مرتين، ولكن المهم أن الرئيس تقبل كلامه القاسي وتفهمه -على حد تعبير بدر اوي نفسه- وصار واضحاً أن مبارك سيخاطب الشعب الليلة ويعلن تفويضه لنائب الرئيس بكل اختصاصاته، وذهب بدر اوي لبيته منتظراً لخطبة الرئيس. وفي الساعة السادسة والربع

مساءً، اتصل المقدم حسين الشريف مدير مكتب عمر سليمان بالدكتور بدر اوي، وقال له بصوت حزين: انت مشيت ليه يا دكتور حسام؟ قال له بدر اوي: ليه اللي حصل؟ قال غيروا كل حاجة .. ياريتك ما مشيت ... وجلس بدر اوي حزيناً وشعر بأنهم لعبوا به، وكان يود أن يرى وجه أحد منهم ليقول لهم أنتم لم تهدموا اتفاقاً ولكنكم هدمتم الرئيس ونظامه.

ووسط خضم تلك الإحباطات التي تعرض لها بدر اوي نتيجة تكاتف وتكالب جمال وزكريا على قرارات مبارك، والتي سيكون لها بالتأكيد تأثيراً سلبياً على مصلحة مصر بصفة عامة، فاتصل به وائل غنيم وطلب منه مقابلة مجموعة من الشباب يريدون الحديث معه في أمور البلد وكذلك لإيصال رسالة لمبارك، وبالفعل وافق بدر اوي على لقائهم في اليوم التالي.

وصباح الخميس ١٠ فبراير، اجتمع الدكتور حسام بدر اوي مع مجموعة من الشباب وكان حاضراً الاجتماع وائل غنيم الذي قام بدر اوي بالإفراج عنه من أمن الدولة في السابع من فبراير، وكذلك المخرج الشاب عمرو سلامة، وطلب منه الشباب أن يوصل رسالة للرئيس مبارك بوجوب إعلان تنحي مبارك اليوم وتفويض سلطاته لنائبة فضلاً عن تقديمه اعتذاراً لشهداء الثورة الذين اتهمهم بأنهم عملاء وحاملو لأجندات وخطط أجنبية، فقد يؤدي ذلك لتهدئة الثورات والمظاهرات المنتشرة في ربوع مصر، ولن يقبل الشعب المصري بأقل من ذلك، وأنهم على استعداد للوقوف بجانب الرئيس وهو يلقي خطاب التنحي.

. وانتهى هذا الاجتماع في حوالي الحادية عشرة صباحاً، وقال للشباب أنه سيحدد موعد مع الرئيس ليقابلهم وسيبلغهم بالموعد.

وخرج بدر اوي من الاجتماع واتصل بالنائب عمر سليمان وأبلغه برغبة الشباب في لقاء مبارك، مؤكداً على حسن خلق هؤلاء الشباب ولن يتم التناول من طرفهم على الرئيس، وأن بقاؤه بهم سيجعله يأخذ القرار الصائب، ولكن فاجأه سليمان بأن الرئيس مازال في بيته ولم يصل لمكتبه حتى الآن، وبعد نصف ساعة قام بدر اوي بالاتصال بالرئيس مبارك في بيته، وقال له بدر اوي: سيادة الرئيس .. مش احنا اتفقنا امبارح تعلن

خطابك.. الوقت يتأخر ياريس. ظل مبارك ساكناً. بدرأوي: أنا قابلت مجموعة من الشباب الثوريين ولهم طلبات، أول طلب أنهم يريدون مقابلة سيادتكم ومستعدين يقفوا وراك أثناء إلقاءك للخطاب. الرئيس: خلاص أنا هاطلع أنكلم النهارده.. خد جمال جنبي كلمه. جمال: إيه يا حسام عامل إيه؟ حسام: ياريت يا جمال الرئيس يقابل الأولاد دول ويستفيد بيهم؟. جمال: طب هاشوف وأكلمك. واتصل بعدها بدرأوي بعمر سليمان وأبلغه بما جرى، وكان رأي بدرأوي أنه لو التقى الرئيس بهؤلاء الشباب سيغير رأيه الذي يصله من التقارير التي تصفهم بأنهم مجموعة من الشباب موجهين وممولين من جهات أجنبية، وسيكتشف حينها أن هؤلاء الشباب هم شباب وطنيون.

اتصل به وائل غنيم يصرخ في وجهه: إيه يا دكتور.. أنت بتضحك علينا والسلا إيه؟ حضرتك بتخدعنا؟ بدرأوي: فيه إيه؟ وائل: أمن الدولة كلموني وعاوزينا نروح لهم علشان نقابل وزير الداخلية وبعدين ياخدونا نقابل رئيس الوزراء، انتوا بتلعبوا بينا.. إيه الحكاية بالضبط؟. بدرأوي: يا وائل وأقسم لك بالله أنه ليس لدي فكرة عن هذا الكلام. وعلى العموم اعملوا ما تروونه تروحو أو ما ترحوش ده قراركم. وائل: إحنا مش هانروح أي حته إلا معاك وحنستناك في فندق سونستا في مدينة نصر. بدرأوي: طب أنا جايلكم سونستا.

ثم جاءه تليفون من اللواء حسن عبد الرحمن رئيس مباحث أمن الدولة، يبلغه فيه بأن رئيس الوزراء يريد مقابلة هؤلاء «الأولاد»، وأنهم مصرون على عدم التحرك دون موافقة بدرأوي، بدرأوي: إحنا كده بنقلل من قدرهم يا سيادة اللواء لأن الموضوع أكبر من رئيس الوزراء. النهارده الخميس ويكره أنا متوقع مأساة. حسن عبد الرحمن: طب أعمل إيه إذا كان رئيس الوزراء عاوز يقابلهم. فقام حينها الدكتور حسام بدرأوي بالاتصال بوائل غنيم وقال له إن رئيس الوزراء يرغب في مقابلتهم وربما أراد أن يصحبهم للقاء الرئيس وبناء على ذلك وافقوا على الذهاب للقاء الفريق أحمد شفيق الذي كان يمارس عمله داخل وزارة الطيران لاستحالة دخوله مجلس الوزراء نظراً لحشود المتظاهرين هناك. وبعد عدة دقائق، اتصل به وائل غنيم وفوجئ بحشد ينتظره في مكتب رئيس الوزراء من المصورين والإعلاميين وكذلك بعض الفنانين. وطلب بدرأوي منهم أن ينصرف وائل ومن معه فوراً. ويبدو أنه من الواضح أن الأمن أراد تصوير الشباب على

أنهم جاءوا يستجدون ويستعطفون سلطات الدولة، وهو ما يرفضه الشباب تماماً.

وحاول الدكتور الاتصال كثيراً بالقصر الجمهوري محاولة منه إقناع مبارك لمقابلة الشباب، ولكن كافة التليفونات كانت مغلقة ولم يرد أحد عليه، فحاول الاتصال بعمر سليمان ولكنهم أبلغوه أنه في اجتماع مع المشير، وكان ذلك قبل تنحي مبارك بيوم واحد، وشعر بأن هذا اللقاء لن يتم، وشعر بأنه يتم استخدامه حسب مزاج النظام، فقرر وقتها أن يقلب الترابيزة عليهم، ففي مقابلة لقناة (بي بي سي) سألته المراسلة عن توقعاته، فأجابها بأن الرئيس سيتكلم للشعب اليوم ويعلن في خطابه المواد الدستورية المفترض تعديلها، وكذلك نقل سلطاته لنائبه بصورة مطلقة، فقالت له المراسلة بأن هذا أمر خطير، فأجابها بدرأوي بأنه يتحدث بصفته أمين عام الحزب الوطني، وقد صارت الرئيس مبارك برأيي مباشرة. المراسلة: يعني مبارك سيعلم في خطابه ما تقول؟. بدرأوي: أنا أتوقع ذلك لأن هذا ما سمعه مني بصفتي أميناً لحزبه ووافقني عليه، ولا بد أن يعلن تنحيه.

وكذلك طلب من المذيع شريف عامر مذيع برنامج «الحياة اليوم» أن يجري معه تسجيلاً في الخامسة من مساء يوم الخميس ١٠ فبراير، وأعلن استقالته من الحزب الوطني الديمقراطي. وبذلك أنهى دوره القيادي في الحزب الوطني الذي استمر ستة أيام فقط من السبت إلى الخميس. (عن الصعود والسقوط من المنصة للمحكمة-صلاح منتصر - عن أوراق حسام بدرأوي)

والحقيقة كان مبارك مقتنعاً بأنه يجب عليه أن يتنحى ولكن جمال وأنس الفقي رفضا تماماً فكرة التنحي وعارضاه بشدة، وحين أعلن بدرأوي أن الرئيس سوف يتنحى اليوم، أسرع أنس الفقي وأعلن في شريط الأخبار على القنوات المصرية أن مبارك لن يقدم استقالته. وكانت مثل هذه الأخبار هي التي تثير المتظاهرين وتجعلهم يصرون على الدخول في تحدي وعناد لرحيل مبارك وربما يقتحمون القصر الرئاسي لتحقيق مبتغاهم.

وبخصوص توريث السلطة لجمال مبارك أوضح بدرأوي أن كل الشواهد كانت تقول أن جمال كان يجهز لرئاسة مصر ولكنه لم يحدث معه أي حديث بخصوص تجهيز

جمال للرئاسة وأن مبارك كذب له هذه الإشاعة في حديثه الخاص معه وألمح بدرأوى إلى أنه يخفي الآن تفاصيل لا يريد أن يحكيها، إلى أن يحين وقتها.

مشادة عنيفة بين علاء وجمال مبارك :

أثناء إلقاء مبارك لخطابه الأخير والذي ألقاه ١٠ يناير أي قبل التنحي بيوم واحد، والذي كان قد ذكر فيه تفويضه لعمر سليمان بمهامه المدنية والجيش بمهامه العسكرية، فقد وقعت مشادة كلامية عنيفة بين علاء وجمال مبارك نجلي الرئيس مبارك حيث اتهم علاء شقيقه جمال بأنه المتسبب في الثورة وإهانة والده في آخر أيام حياته.

حيث قال علاء لجمال: « لقد أفسدت البلد أنت وأصحابك وهذه النتيجة فبدل أن يخرج أهلك مكرم شوهدت صورته في نهاية حياته » وازدادت المشادة حتى كادت أن تصل إلى اشتباك بالأيدي، وفصل بينهم الموجودين بالقصر.

الراجل اللي واقف ورا عمر سليمان :

عندما كان اللواء عمر سليمان يتلو قرار التنحي يوم ١١ فبراير، كان هناك رجل يقف ورا عمر سليمان وكان هذا أمر غريب وغير معتاد أن يخرج أحد من رئاسة الجمهورية ويدلي بتصريح أو بيان ويكون هناك رجل واقف خلفه بصفه دائمة وينظر لكل من يقف خلف الكاميرا بنظرات تبدو مريبة، وبسبب هذه الوقفة وتلك النظرات، أثار فضول جموع الشعب المصري ليعرفوا من هو هذا الشخص، فاعتقد أن الجميع كان يسمع الخطاب وينظر لهذا الرجل، وصدرت بعض الإشاعات والأقويل بأن هذا الرجل هو من ضباط الجيش وكان يحمل مسدساً مهدداً عمر سليمان بالقضاء عليه فوراً أو على الأقل بإبعاده عن الكاميرا والمايك إذا قام وخالف ما هو مكتوب في قرار التنحي، ولكن عرفنا بعد ذلك أن هذا الرجل هو اللواء حسين كمال وهو مدير مكتب عمر سليمان والحارس الشخصي له ويرافق سليمان كظله ولديه الكثير من خفايا وأسرار سليمان وبالتالي الدولة.

وبعد ظهور هذا الرجل بشكل خاطئ وغير مقصود، ومع فرحة الشعب المصري العارمة إزاء تنحي مبارك، ظهرت الكثير من الفكاهات والتعليقات عن هذا الرجل والمذكور بعض منها في فصل فكاهات الثورة، وهو ما أثار حفيظة هذا الرجل المحترم

هو وأسرته وضايقتهم كثيراً، مما دعي الشباب إلى إرسال رسائل اعتذار له عبر مواقع الفيس بوك وتويتر وكتب له «نرجو من هذا القائد العظيم أن يسامحنا، فنحن نكن له كل احترام وتقدير، مشكلته فقط أنه مصري وأن شعب مصر يميل إلى الدعابة، فنشكره على دوره في تلبية مطالب الشعب، ونرجو ثانية أن يسامحنا، وأن يتقبل تعليقات المصريين بصدر رحب، فهم جميعاً كانوا يريدون إسقاط النظام، وحالياً يريدون شكر الراحل الواقف ورا عمر سليمان. وكل ما قصدناه أن يشاركنا فرحتنا بسقوط مبارك ورسم الضحكة على وجهه ووجه المصريين جميعاً، وهذه آخر مرة نهرز معه»

مبارك كان يخشى تهور ابنه جمال

سافر حسني مبارك إلى شرم الشيخ، واتصل به اللواء عمر سليمان وقال له: إن الأمر تدهور جداً للدرجة لا يمكن تداركها، ويجب أن تنتحي فوراً، وأن تعلن هذا بنفسك للشعب المصري، فوافق مبارك على التنحي. وبعد أن أغلق سليمان المكالمة مع مبارك، قال للمشير طنطاوي أن مبارك وافق على التنحي، ويجب إرسال طائرة فوراً وبها كاميرات وأجهزة تسجيل لتصوير مبارك وهو يذيع خطاب التنحي، وبتشاور المشير مع سليمان، وجدا أن الأمر لا يحتمل التأجيل وذهاب طائرة وبها معدات التسجيل وتصوير مبارك وبعد ذلك تعود الطائرة وإرسال شريط التسجيل للتليفزيون لإذاعته، فسيستغرق هذا عدة ساعات، ولا يمكن لأحد أن يتوقع ماذا يمكن أن يحدث في الدقيقة التالية، فقام سليمان بكتابة نص التنحي في مكتب المشير طنطاوي بوزارة الدفاع، ثم قام بالاتصال بمبارك مرة أخرى وأخبره أن الأمر لا يحتمل التأخير ويجب إذاعة البيان حالاً، فطلب مبارك من سليمان أن يتلو عليه نص الخطاب، وبالفعل قرأه له سليمان ووافق عليه مبارك، وطلب من اللواء عمر سليمان عدم إذاعة البيان إلا بعد إقلاع طائرة جمال وعلاء المتجهة إلى شرم الشيخ، ولكن لماذا طلب مبارك هذا الطلب؟ هل خوفاً على جمال وعلاء من إصابتها بأي مكروه؟ فيعتقد البعض هذا الأمر، ولكن لا أعتقد هذا الأمر، ومرجع ذلك أن سوزان زوجته مازالت في القصر ولم تصعد للطائرة مع علاء وجمال، فلو كان خوفاً على ولديه كان بالأحرى خوفه على زوجته، وعلى ذلك فالراجح أن السبب الرئيسي هو معرفة مبارك الجيدة بشخصية جمال وأنه قد يتدخل بقوة ويحاول جاهداً منع إذاعة الخطاب وإن كان لا يستطيع فهو بالتأكيد يستطيع على الأقل تأجيل إذاعة هذا

لخطاب، وكل دقيقة تمر كان من الممكن أن تحمل كارثة غير متوقعة، فقد اعتزم لمتظاهرون الهجوم على القصر الجمهوري، مما يعني أن كارثة سوف تحدث لا تحمد عقبها. ولذلك تم إذاعة البيان عقب إقلاع الطائرة ولم يعرفا بالخير إلا بعد وصولهما شرم الشيخ، وبعدها أصيبا بانحيار جراء معرفتهما بهذا البيان.

مبارك: لم اتنحى :

نشرت بعض وكالات الأنباء أن مبارك تحدث هاتفياً مع ملك السعودية، يوم الجمعة ١١ فبراير، بعدما ظهر نائبه عمر سليمان على شاشة التلفزيون يعلن تخليه عن السلطة وتسليمها للجيش، واصفاً ما يحدث بالانقلاب العسكري المدعوم بضغط من الولايات المتحدة، قائلاً: «لم يكن لدى فكرة أن عمر سليمان سيقراً هذا البيان».

وقد أبدى ملك السعودية تفهمه الشديد لدهشة الرئيس السابق، معرباً عن استعداد حكومة السعودية لتلبية أي طلب من الرئيس لمساعدته. وبالفعل كانت السعودية وعلى طول الخط عدو شرس للثورة المصرية، وبعد تنحي مبارك حدثت بعض الحوادث وترددت أقاويل كثيرة عن تورط السعودية في تمويل تلك الحوادث، حتى تبعت الشعور لدى المصريين والشعوب العربية عن الخطأ الكبير الذي وقع فيه المصريين من قيامهم بثورة على مبارك، وبالتأكيد نتفهم أن هذا يعد في الأساس خوفاً من النظام السعودي على عرشه ليس إلا، فهو خائف أيضاً ليس على عرشه فقط بل على ثرواته المغتصبة من البترول الذي هو ملك الشعب كله واستولى عليها دون وجه حق، ويعلم جيداً أنه في حالة اهتزاز عرشه سوف يقوم الشعب السعودي -الذي سمي باسم عائلة حاكمه- باسترجاع تلك الثروات من مغتصبيها وإعادتها لمستحقيها. ولم يكتفي هذا النظام بالاستيلاء على ثروات شعبه، بل وقام ومازال يساعد حكام العرب على نهب ثروات شعبهم ويحتضن تلك الثروات داخل بنوكه، وفي حالة انهزام هؤلاء الحكام مثل ما جرى في تونس ومصر فاحتضن رئيس تونس بعدما سرق أموال الشعب التونسي والكم الهائل من الذهب الذي هرب به إلى السعودية، وكذلك عرضه على مبارك اللجوء إليهم وهم يتكفلون بحمايته ومحاولة أخذ حقه من الشعب المصري، ولكن إلى متى يظل هؤلاء الحكام المتجبرون المتكبرون يحكمون؟ فبالأكيد سيأتي يوماً تنتهي به تلك الإمبراطوريات المتجبرة فالتاريخ ملئ بتلك المواعظ لمن لا يتعظ.

حقيقة الخطاب الأخير لمبارك:

كشف عبداللطيف المناوي، رئيس قطاع الأخبار السابق بالتلفزيون المصري، في كتابه «الأيام الأخيرة لمبارك... ١٨ يوماً»، حيث تناول تفاصيل اللحظات الأخيرة للرئيس السابق في القصر الجمهوري قبل تنحيه في ١١ فبراير الماضي، وعقب رحيله على متن طائرة هليكوبتر لمدينة شرم الشيخ.

ومع تعمق الأزمة على مدى ١٨ يوماً عقب اندلاع الثورة يوم ٢٥ يناير (٢٠١١)، أصيبت بطانة مبارك بالشلل وعدم القدرة على اتخاذ قرار، وفقاً للمناوي. وباعتباره مديراً للتلفزيون الحكومي، فقد كان يتزود بأوامر متناقضة من وزير الإعلام، والسلطة العسكرية، ومساعدى مبارك - وخصوصاً ابنه الطموح جمال. كلهم أرادوا أن ييثر التلفزيون بيانات لا صلة لها بواقع تداعي سلطة الحكومة، وعن الوضع في ميدان التحرير.

وأدرك المناوي بعد أسبوعين من المظاهرات المتصاعدة أن وضع مبارك لا يمكن الدفاع عنه. ولكن لم يجرؤ أحد على إخباره بذلك، ولذلك أقنع المناوي كبار ضباط المخابرات أن يطلبوا من أنس الفقي وزير الإعلام القوي الذي كان مبارك يعامله كابن ثالث له، أن يطلع الأسرة الحاكمة على ما كان يحدث. ويتذكر المناوي أن «واحدًا منهم حاول تشجيعي وأخبرني أن مصر ذكرت في القرآن الكريم خمس مرات، بينما ورد ذكر مكة مرتين فقط. وقال إنه إذا كان الله قد ذكر مصر خمس مرات في القرآن، فسيحتمها. هذا الرجل الموجود في أعلى مستويات مؤسسة الاستخبارات المصرية، كان يقول لي إنهم ينتظرون معجزة. وبالتأكيد لم يكن الوقت وقت معجزات جديدة».

توجه المناوي إلى مكتب وزير الإعلام الفقي، وأخبره أن على مبارك الظهور عبر التلفزيون ذلك اليوم وبدأ في كتابة الخطاب الذي سيلقيه الرئيس. وكتب الفقي ملاحظات ثم اتصل بجمال مبارك، وشرح له خطورة الموقف. وأصر المناوي على أن الخطاب يجب أن يكتمل قبل الرابعة عصراً.

وطلب الجيش أن يذيع التلفزيون «البيان رقم واحد» - في إشارة واضحة إلى أنهم يضغطون على الرئيس. وكانت مصر كلها، بمن فيهم المحتجون في ميدان التحرير،

يبتظرون خطاب الاستقالة.

كان هناك آلاف يحيطون بمبنى التلفزيون يهتفون ويحتجون. وهرب معظم موظفي المؤسسة. وحتى بعد الساعة العاشرة ليلاً لم تكن هناك علامة على وجود مبارك في الاستوديو بالقصر الرئاسي. ويضيف المناوي: «وما أثار الخوف في نفسي أن جمال بدأ يتحرك حول الكاميرا. كأن أمراً لا يصدق. لم أصدق عيني. ثم اختفوا تماماً.

«ودخل مبارك أخيراً في الصورة بعد ٢٠ دقيقة، محاطاً بولديه والناطق باسمه وأنس. بدأ في القراءة، ووقع في أخطاء، ثم توقف، وبدأ من جديد. طلبوا منه التوقف لتعديل ربطة عنقه ثم قرأ بقية الخطاب. وصافح من حوله ثم انصرف.

«وعندما أنهى الخطاب، شعرت بإحساس كئيب في أعلى معدتي. كانت هذه هي النهاية. الخطاب كان مخيفاً تماماً- أسوأ خطاب ألقاه في حياته. كان متصلباً. بل كان كارثة».

يضيف المناوي: «فورا بعد الخطاب، بدأ المحتجون في أنحاء البلاد ينفثون غضبهم، ويصرخون في الليل حتى السماء».

وكان آخر خطاب لمبارك يعد أسوأ خطاب وتميز بالخطورة والتعالي، مشيراً إلى أن جمال قام بتعديل الخطاب وشطب كل ما له علاقة باستقالة والده، في مقامرة أخيرة للوريث المحتمل. ويبدو أن جمال قام بتعديل خطاب والده وشطب كل الإشارات عن استقالته، حيث كانت هذه المقامرة آخر تدخل «فج» لجمال ومشروع توريثه السلطة والذي تبناه جمال وأمه من أجل أن يتولى الرئاسة بعد والده.

وقال المناوي أن الآلاف تجمعوا خارج مبنى التلفزيون وهم يصرخون برحيل مبارك، وكان معظم العاملين في المبنى قد تركوا عملهم في هذا اليوم، وفي تمام الساعة العاشرة مساءً كانت التوقعات أن مبارك على وشك الدخول إلى الاستوديو في القصر الرئاسي والقاء خطاب التنحي»، لافتاً إلى أن جمال مبارك تدخل بشكل كبير في خطاب مبارك الثالث والأخير، وأنه اندهش من كمية الأخطاء التي ارتكبت في تسجيل الشريط. «كان الأمر مروعاً للغاية، حيث كان هذا الخطاب الأسوأ له على الإطلاق من أي وقت مضى»، وقال لقد صرخت في السماء عقب انتهاء الخطاب، لأن جمال مبارك قام بإزالة

كل القطع التي كانت تتحدث عن التنحي في هذا الخطاب، وذلك في محاولة أخيرة منه لإنقاذ مشروع التوريث له بمساعدة والدته.

«تكدفت الاحتجاجات حول مبنى التلفزيون وازداد الحشد لاقتحام محطات التلفزيون، وكانت هناك شائعات بأن مبارك لم يعد في القاهرة، وأنه قد يكون في شرم أو المملكة العربية السعودية.. وقمت بالاستفسار عن ذلك من نائبه الوزير عمر سليمان والذي أكد لي أنه سأله إذا كان يريد أن يطير لأي بلد خارج مصر، لكن مبارك أجاب أريد أن أعيش في هذا البلد حتى الموت». وأوضح المناوي أن مبارك رضخ في النهاية لضغوط الجيش وضغوط المشير محمد حسين طنطاوي بترك السلطة والرحيل بأمان لشم الشيخ حتى لا تتفجر الأوضاع في البلاد، وتم كتابة خطاب التنحي الذي أذاعه عمر سليمان في ٣٧ ثانية.

في اليوم التالي تزايد حجم الاحتجاجات. وكانت الجماهير تحاول اقتحام مبنى التلفزيون. وترددت إشاعات بأن مبارك ليس موجودا في القاهرة ولكن في شرم الشيخ أو في السعودية. وقبل منتصف النهار تماما اتصل ناطق عسكري بالمناوي ليقول إن على التلفزيون أن يعمم على الناس أن مبارك سيغادر. وبعد ذلك مباشرة استقل مبارك مروحية إلى شرم الشيخ. وقبل أن يغادر سأل سليمان الرئيس، وفقا للمناوي، ما إذا كان يرغب في الذهاب إلى جهة ما في الخارج، فأجاب مبارك: «لا، لم أرتكب خطأ أريد أن أعيش في هذا البلد وسأظل فيه بقية حياتي».

عبد اللطيف المناوي يحكي التفاصيل الأخيرة في حياة مبارك:

واستكمالاً لما ذكره المناوي عما حدث في القصر الرئاسي، فذكر أن سوزان ثابت دخلت في وصلة بكاء مستمر في الساعات الأخيرة لحكم مبارك، وأنه في خلال ٣٧ ثانية (وهي مدة إلقاء عمر سليمان خطاب التنحي) ذهب كل شيء وانتهى عهد مبارك فجأة وللأبد. وقال أن سوزان مبارك انهارت داخل القصر الرئاسي، حيث عثر عليها الحراس منبطحة على الأرض في حالة يرثى لها من الحزن وحولها مجموعة من التذكارات الخاصة بحياتها، بينما كان نجلاها علاء وجمال في انتظارها بالمطار.

ويشير المناوي، الذي قالت عنه الصحيفة البريطانية إنه لعب دوراً رئيسياً في إقناع

الرئيس السابق بالتنحي، وأيضاً في صياغة خطابه الأخير، إلى أن سيدة مصر الأولى أقيمت الحراس في انتظارها أكثر من ساعة. ويضيف أن الحراس التقطوا سوزان من الأرض وساعدوها على التجول بأنحاء المنزل لجمع بعض المتعلقات القليلة الخاصة بها. ونقل الكتاب بعض العبارات التي ظلت سوزان تصرخ بها بعد انهيارها وقت الرحيل، حيث التفتت للحراس وقالت لهم: «هل تعتقد أنهم سيأتون إلى هنا؟ أرجوك لا تدعهم يأتون! لا تدعهم يدمرون القصر أرجوك. ابقوا هنا واحموا القصر» (وكانت تقصد الثوار).

واستند المناوي إلى مصدر رفيع ومقرب من مبارك، وكان شاهداً على الأحداث في القصر الجمهوري، بالإضافة للأحداث المأساوية في مصر خلال أيام الثورة، حيث كشف ما حدث في الساعات الأخيرة من حكم مبارك الذي استمر ٣٠ عاماً، وكذلك الأشهر التالية في حياته عقب التنحي بعد وضعه في غرفة صغيرة بالمجمع الطبي للقوات المسلحة المصرية. وقال إن سوزان ثابت وفت بجانب زوجها وهي غارقة في البكاء والعالم ينتظر استقالة زوجها، ثم جلست على الأرض بالقصر الجمهوري ورفضت مغادرته. وأنه بمجرد وصول طائرة الهليكوبتر لساحة القصر لنقلهما إلى مدينة شرم الشيخ في اليوم التالي للتنحي ضمت سوزان مبارك ابنيها جمال وعلاء بجانبها ورفضوا المغادرة، موضحاً أن الحراس الذين كانوا مكلفين بتنفيذ عملية الإخلاء لعائلة مبارك من القصر كانوا يتصورون أنهم سيجدون حقائب المجوهرات باهظة الثمن أو ملابسهم بجوارهم، لكنهم وجدوا عائلة مبارك مستقلقين على الأرض سيكون.

ونقل الكتاب عن مصادر قريبة من الرئيس السابق أنه «عندما جاء مبارك إلى المستشفى في شرم الشيخ كان مصاباً بالاكتهاب العميق، وأمضى معظم وقته في مشاهدة مباريات كرة القدم المعادة، ورفض مشاهدة الأخبار، وكان ضعيفاً جداً، وقد أصيب بإحدى النوبات القلبية بعد إزالة ورم خبيث من الأمعاء، وبالكاد كان يشرب ويأكل ورفض ابنه وزوجته مغادرة غرفته التي لم يكن فيها سوى نافذة واحدة صغيرة».

وخلال تلك الأحداث العاصفة كانت زوجته سوزان، ابنة ممرضة من ويلز (أحد أقاليم بريطانيا) وجراح مصري، وقد أقيمت مصر وبقية دول العالم في حالة ترقب خلال اللحظة العصبية التي استقال فيها زوجها، بينما كانت تبكي من دون سيطرة على نفسها

على أرضية الفيلا الرئاسية، رافضة مغادرتها.

انضمت السيدة مبارك إلى ابنيها، جمال وعلاء، في المروحية التي نقلتهم إلى منفي داخل مصر في شرم الشيخ في اليوم الذي أجبر فيه زوجها على التخلي عن منصبه. ولكن ومع دوران المراوح، قفزت لتخرج وتركض عائدة إلى الفيلا.

المسؤولون الذين نفذ صبرهم ظنوا أنها ربما نسيت مجوهراتها أو فستانها المفضل. والحقيقة أنها عادت إلى بيتها وانهارت، والحراس الذين خالفوا البروتوكول واقتحموا الفيلا وجدوها ساجدة على الأرض تبكي بصورة جنونية وحولها الصناديق وذكريات ثلاثين عاما من الإقامة في القصر، واضطر الحرس لحملها وهي تجهش بمرارة، وقد بللت دموعها كتفيها وملابسها وهي تحمل بعض الأشياء التي لم تكن قادرة على تركها، وتناشد الحراس البقاء وحماية فيلتها، حيث كانت تخشى من دخول المتظاهرين للمكان.

حملوها في أرجاء الفيلا بينما كانت دموعها تبلل كتفيها وهي تجمع المقتنيات القليلة التي استطاعت حملها، ولم تستطع التخلي عنها. «ظلت أثناء حزنها تردد الجملة نفسها، مرارا وتكرارا (... كان عندهم سبب...) وعندما تماسكت بعض الشيء، عادت إلى الحراس وسألتهم في ذعر: «هل تعتقدون أنهم يستطيعون الوصول إلى هنا؟ أرجوكم لا تدعوهم يدخلون هنا.. أرجوكم، لا تدعوهم يدمرون الفيلا، أرجوكم. انظروا، تستطيعون البقاء هنا، ابقوا في الفيلا... أرجوكم احرسوها».

وفي الوقت الذي كان المناوي في مكتبه استعدادا لبث الشريط الذي يعلن فيه الرئيس استقالته، كانت سوزان مبارك تبكي في قصرها الخالي.

